

فنون النار التي زاوجت بين الماء والطين تلك صناعة الفخار في المغرب

أحمد علوة:الدار البيضاء

صناعة الفخار من أقدم وأعرق الصناعات في المغرب التي ارتبطت بالإنسان المغربي ولبت حاجياته البدائية التي كانت تتكون أساسا من أواني للاستعمالات المنزلية، قبل أن تتحول حين تم التعرف عن الفنون الأندلسية إلى صناعة خزفية جميلة عكست حرفة وإبداع الصانع المغربي.

أكبر طاجين في العالم وسط مدينة أسفي المغربية التي اشتهرت بأسواق الفخار



تقن الحرفيون المغاربة بالفخار الذي يطلق عليه عادة فن النار لحد أن صاغوا والفسيفساء التي تجمع بين أصالة من الماء والتراب وبواسطة النار أروع ومعاصرة الثقافة المغربية، وتعكس

عطاها في عشرينيات هذا القرن بفضل الصنّاع «المعلمين» الذين انتشروا في عدد من المدن المغربية وإنشاء أسواق وقيساريات خاصة بالفخار في فاس وأسفي والناظور ومكناس وورزازات ومراكش وتطوان.

فخار قروي وحضري

تحف فخار القرى تصنع أساسا من الصلصال السّامع الذي يطلق عليه اسم «الندقا» وهو صناعة نسائية بامتياز حيث تتكفل النساء بصناعة ما تحتاج إليه من أواني ومزهريات باستعمال تقنيات متوارثة بسيطة وبألوان شائعة في الغالب

علاقة قديمة بين المغاربة والطين حين استطاع الأمازيغ القدامى (سكان المغرب الأولون) أن ينفخوا (الروح) في مادة جامدة ليصنعوا منها أشياء كثيرة تفيدهم في حياتهم اليومية.

في القرن الخامس عشر ومع توافد عرب الأندلس وتحديدا إلى مدينة فاس بدأت صناعة الفخار تعرف إبداعا جديدا تمثل في تصاميم جديدة ساعد في ذلك مهارة الصّانع المغربي المتوارثة أبا عن جد وخصوصية الطين المتوفر بعدد من المدن والتي تحتوي أساسا على أكسيد الحديد المعروف بتعدد ألوانه الطبيعية الخلابة، وقد عرفت صناعة الفخار أوج



تختلف زخرفة الاواني من منطقة الى اخرى في المغرب

توراٲ النساء في بعض المناطق بالمغرب صناعة بعض الادوات والوانى المنزلية بأنفسهن



يدور بالأرجل إلا في حالة بعض الأشكال
الصعبة التي يتم استعمال قوالب خاصة
لذلك.

الماء والطين والنار و(الطينة)

ينشر التراب بعد استخراجة من أعماق
الأرض تحت الشمس لعدة أيام ثم يخلط
بالماء في خابية كبيرة قبل أن تتم غربلته
وتصفيته وتركه لينشف لتنتقل عملية
ذلك بالأقدام، فيما يعالج الصلصال الذي
يستعمل للتزيين ويوضع في النار
لساعات على أن يطلى بعد أن يبرد

هي الأسود والأبيض والأحمر لتزيين
وزخرفة صحنين أو جرارهن أو
مزهرياتهن وهي زخارف تختلف من
قبيلة لأخرى ويمكن من خلالها التعرف
على أصل التحف.

الفخار الحضري وعكس الفخار القروي
يعتمد أساسا على الزركشة والتزيين
بحيث يمتاز بدقة وروعة الألوان وجمالية
الشكل التي تشهد على غنى الزخارف
والخطوط والأشكال الهندسية وهي حرفة
تقتصر على الرجال الذين يصيغون
بأناملهم أشكالاً رائعة بواسطة دولاب

بدهان الفخار وترسم عليه النقوش والرسوم المرجوة حيث تتم الإستعانة بالأوكسيدات الملونة لوضع القطع والأشكال والعلامات المزينة على أن يعاد الكل للنازل للحصول على الألوان البراققة الناصعة والبهية.

«الطينانة» هو الاسم الذي يطلق على حرفي صناعة الفخار في المغرب، وميزتهم أنهم يعتمدون أساساً على أيديهم في صياغة الأشكال الفنية، وقد استعملوا ومنذ القدم نفس الأدوات الأولية لصناعة الفخار كما حافظوا على مراحل الصناعة نفسها حيث الأفران المعدنية والمخارط والألواح والمسن (نوع من الحجارة

(المساء) وحيث التشكيل والتلميس باليد أو بالمخرطة والدولب والتنشيف في الشمس والتسوي بالفرن.

وبرغم المجهود المضاعف المبذول من طرف أكثر من مليون شخص يمتنون مهنة «الطينانة» للحفاظ على صناعة الفخار فإن هذا النشاط التقليدي الضارب في عمق الذاكرة المغربية يعيش في السنوات الأخيرة مشاكل عديدة جوهرها التسويق، ثم المنافسة غير المتكافئة مع مواد صناعية أسهل صناعة وأرخص ثمناً.. هذه الإكراهات عجلت بتدخل الدولة المغربية والتي راهنت بالأساس على تطوير هذه الحرف التقليدية

روائع الفخار





الطاجين المغربي أشهر صناعات الفخار والأكثر مبيعا في الداخل والخارج

الرمادي ومزركشة باللون الوردي ورسوم على أشكال أقواس، أما مدينة مراکش فقد ظلت وباستمرار أهم أسواق الفخار والخزف حيث توجد العشرات من المعامل العصرية والتقليدية التي تشغل الآلاف من «الطباينة» في تحد بالغ للصناعات الحديثة. ومن أهم المنتجات الفخارية نذكر: الصحون، القصعات، إحسانيات، أقداح، كؤوس، صحون، المزهريات، أصيص النباتات، التعريجة، الطاجين، القدور، الصحون الكبيرة، الجرات، الأقداح، مواقد، أدوات تزيين، تحف مختلفة.

وحمائتها من الإندتار بإنشاء مراكز للتكوين المهني تعتمد على الحرف اليدوية والأدوات التقليدية في الصناعة وتعيد الإعتبار «للطباينة» وللمدن التي ارتبط بها الفخار في المغرب وارتبطت به.

من هذه المدن هناك مدينة فاس عاصمة هذا الفن التي تضم أكثر من 40 ألف حرفي حيث يعد فخارها الأكثر إقبالا من الزبناء والأكثر رواجاً لتعدد زخارفه وتميزه باللون الأزرق بأرضية بيضاء، فيما لا زالت تحف مدينة أسفي (حيث أكبر أسواق الفخار) الأكثر شهرة وهي في الغالب بيضاء أو زرقاء تميل إلى